Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

خليقة أن تكون أقلَّ فردوسيّة. ذلك لأن التحديد الأعظم، والوصف الأكثر تفصيلاً للإقليم النباتي والحيواني ما كان له أن يؤدي إلاّ إلى أن تصبح عَدْنٌ مشابهةً للمناظر الطبيعية الأرضية المألوفة عندنا. وأن الانطباع الذي نحتفظ به عن عَدْنٍ لهو الأكثر ملاءمة، وهو ذلك الذي كان ملتون مؤهلاً أقصىٰ تأهيل لتقديمه إلينا: إنه انطباع الضوء ـــ ضوء النهار وضوء النجوم، ضوء الفجر وضوء الغسق، الضوء الذي إذا ما ذكره رجل في عماه كان له مجدٌ يفوق الطبيعة، مجد لم يعانه البشر أُولو البصر العادي.

وإذاً فعلينا ألّا نتوقّع ،لدى قراءة الفردوس المفقود، أن نرى رؤية واضحة ،بل لابدّ لحس البصر أن يغشاه الضباب حتى يغدو سمعُنا أكثر إرهافاً. فالفردوس المفقود يفرض ،مثل «يقظة الإوزّ البريّ» ،(لأنني لاأستطيع أن أتصوّر عملاً أدبياً يقدم موازياً له أكثر إمتاعاً: فهما كتابان لموسيقيين كفيفين عظيمين، كل منهما يكتب بلغة خاصة به ترتكز على الانكليزية) هذه الحاجة الغريبة الى إعادة تكييف طريقة الفهم لدى القارئ، فالتوكيد على الصوت، لاعلى الرؤية، وعلى الكلمة ،لاعلى الفكرة، وفي النهاية فإن الصياغة الفريدة للشعر هي الدليل الأكثر توكيداً على البراعة الفكرية عند ملتون.

أما موضوع الصياغة الشعرية عند ملتون فلم يكتب فيه إلا القليل جداً، على قدر ماأعلم، فلدينا مقالة جونسون في مجلة (رامبلر ـــ Rambler) وهي تستحق من الدراسة أكثر ما لقيت، ولدينا رسالة قصيرة لروبرت بريدجز في عروض ملتون. وأنا أذكر بريدجز بالتقدير لانه مامن شاعر في عصرنا أولى النثر كبير اهتمامه مثله. ويضيف بريدجز ألوان الشذوذ المنهجية التي تضفي على شعر ملتون تنوعاً خالداً، ولاأستطيع أن أجد عيباً في تحليلاته. ولكن مهما تكن هذه التحليلات ممتعة فلست أعتقد أن هذه هي الوسيلة التي نظفر عن طريقها بتقدير للإيقاع الغريب عند شاعر، ويبدو لي أيضاً أن شعر ملتون يتمتّع بوجه خاص عن الإفضاء بأسراره عند اختبار البيت المفرد، لأن شعره لم يتشكّل بهذه الطريقة ،بل هو الجملة المركّبة، والجملة العادية، وفوق ذلك الفقرة ،تلك هي الوحدة الشعرية